Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الثالث : طور الرجوع إلى الوطن والإقامة فيه ؛ فالبحترى نشأ فى جوار حلب ، حتى إذا أدرك وحذق صناعة الشعر قصد العراق واتصل ببلاط المتوكل ولازمه . ولما حدثت الفتنة التى قتل فيها المتوكل ووزيره الفتح وذلك عام ٢٤٧هـ كره البقاء فعاد إلى وطنه ، ولكنه ــ على ما يظهر ــ لم يقم هناك طويلا ، فعاد إلى العراق وإلى سالف عهده من مدح الخلفاء والأمراء هناك ــ ولا سيما المعتز ــ وبقى إلى آخر حكم المعتمد ، ثم رجع إلى سوريا واستقر فى منبج حيث أدركته الوفاة وهو يناهز الثمانين .

معالم الحداثة فى شعر البحترى :

قال البحترى : « كان أبو تمام أغوص على المعانى منى ، وأنا أقوم بعمود الشعر منه » ، وهذا القول أعتقد أنه كان السبب فى اتخاذه ممثلا لعمود الشعر أو لمذهب فى الشعر يقابل مذهب أبى تمام ، وقد حدد البحترى مذهبه فى الشعر حين قال :

كَلَّفْتُمُونَا حُدودَ مَنْطِقِكُمْ ... فى الشِّعرِ يُلْفَى عن صِدْقِهِ كَذِبُهْ
ولم يَكُنْ ذو القُرُوحِ يَلْهَجُ بالـ ... ـمَنْطِقِ ما نَوعُهُ وما سَبَبُهْ ؟
والشِّعْرُ لَمْحٌ تَكْفِى إشارَتُهُ ... وليس بالهَذْرِ طُوِّلَتْ خُطَبُهْ[٢]

والبحترى ــ فيما أعتقد ــ يدلى برأيه فى القضية التى شغلت النقاد فى هذه الفترة وهى قضية اللفظ والمعنى ، وهو ــ فيما أرى أيضا ــ يرى جمال الشعر فى الصورة ، وليس فيما يتضمنه من المعانى والأفكار ، ورأيه يتفق مع ما ذهب إليه الجاحظ وطائفة من نقاد العرب . وليس معنى ذلك أن البحترى كان يهمل جانب المعنى أو يتجاهله ، ولكن جمال المعنى يتطلب عنده جمال اللفظ ، وذلك ما نجده فى قوله :

واللَّفْظُ حَلْىُ المَعْنَى ، وليس يُرِيـ ... ـكَ الصُّفْرُ حُسناً يُريكَهُ ذَهَبُهْ

« فالمعانى عند البحترى أرواحٌ تتحرّك وتتنفّس ، وهو يخلق لها الجوّ الملائم يمازج فيه بين الألوان ، ويؤلف ويربط فيه الأوزان ويوحّد »[٣] .

---

(٢) ديوان البحترى ١ : ٢٠٩ .
(٣) المصدر نفسه ١ : ١٠ ، ١١ .